كل أسمائه حسنى وكل صفاته عُليا
وكل أفعاله حكمة وكل شريعته رحمة

والله يضرب الأمثال، يفصل الأقوال، يغيِّر الأحوال، وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال.

رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، مشرّف رسله بالتنزيل.

مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه، مستغنٍ عن عباده، متفرِّد بربوبيته وألوهيته، واحد في أسمائه وصفاته وأفعاله، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، القول في صفاته كالقول في ذاته، والقول في بعضها كالقول في جملتها، تثبت بلا تشبيه، ولا تمثيل، وتقرأ بلا تأويل ولا تعطيل، تمر كما جاءت، الكيف مجهول، والإيمان بها واجب، وصرفها عن ظاهرها اعتداء، وتعطيلها جناية، لا يشبه المخلوق، ولا يشبهه المخلوق، صفاته كمال وجلال وجمال، لا نقص فيها ولا عيب، لا سنة ولا نوم، لا ضعف ولا فناء، لا زوال ولا انتهاء، لا حاجة ولا فقر ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾.

لا تراه الأبصار في الدنيا ويراه المؤمنون في الآخرة كلم موسى عليه السلام تكليماً، واتخذ إبراهيم خليلاً، وفهم سليمان عليه السلام تفهيماً، وعَلَّم محمداً ﷺ تعليماً ﴿**يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَختَارُ**﴾.

تكلم بالقرآن، وعلّم البيان، إليه يصمد الثقلان ﴿**يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾.

لا أصبر منه على الأذى، لا أغير منه على المحارم، لا أكرم منه في العطاء، لا أقوى منه في الأخذ، لا أرأف منه في الملك، لا أرحم منه بالخلق ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

تقدست ذاته، جلت صفاته، ظهرت آياته، شهدت بحكمته مخلوقاته.

سبغت نعمه، عم كرمه، سما قدراً، عظم قهراً ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾.

أول بلا ابتداء، آخر بلا انتهاء، خالق بلا أعوان، متفرد عن الأنداد، منزه عن الأضداد.

الكبرياء رداؤه، والعظمة إزاره، حجابه النور، دعوته الحق، كلمته الصدق، إليه المعاد، عليه يتوكل العباد.

لا يشغله شأن عن شأن، لا تعجزه سؤالات الإنس والجان.

أغنى وأقنى، أضحك وأبكى، لم يخلق سدى، ولم يوجدهم عبثاً، ولم يخلق السموات والأرض لعباً.

هو الحق، وعده حق، جنته وناره حق، أنبياؤه حق، كتبه حق، محمد ﷺ حق ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾.

له أسلمنا به آمنا، عليه توكلنا، إليه أنبنا، فيه أحببنا وأبغضنا، به خاصمنا، وإليه حاكمنا ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

اهجر التعلق بسواه، لا تدع إلا إياه، لا تستغث بغيره، لا ترجُ إلا هو، لا تخف إلا منه ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾.

«إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك» «تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة» ﴿ **فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾.

توحيده أعظم سبب، ليس بينه وبين أحد من خلقه نسب، مالنا دونه من ولي ولا شفيع، وليس لنا سواه حافظ ولا نصير ﴿ **وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ والذِينَ ءامَنُوا فَإِنَّ حِزبَ اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ** ﴾.

في القلوب حاجة ماسة ووله عجيب، وانكسار غريب، واحتراق مذهل لا يُطفئه إلا التأله والعبودية لله رب العالمين. ﴿ **قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ** ﴾.

كل صفة مدح في المخلوق فالله أولى بها على أكمل وجه في هذه الصفة لأنه سبحانه الكامل في صفاته الجليل في أسمائه ﴿ **هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا** ﴾ يقول عليه الصلاة والسلام فيما صرح عنه «**إن لله تسعاً وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة**» وفي حديث صحيح آخر يقول ﷺ «**أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء همي، وذهاب حزني**».

الرحمن الرحيم يفتح باب الرحمة على مصراعيه ويدعو عباده بالإقبال إليه

سعة رحمته سبحانه؛ وعظيم لطفه؛ وجزيل كرمه؛ ووافر جوده وحلمه؛ قضية معلومة لكل ذي عقل؛ ولا أدل على ذلك من إمهال الله لأعدائه على كفرهم، فهو يغذوهم ويكسوهم ويكلؤهم بالليل والنهار، ويسهل لهم أغراضهم الدنيوية، وييسر لهم مطالبهم المعيشية، وأكثرهم محاربون له ولرسله، مكذبون لرسالاته وكتبه، معتدون على حرماته وحدوده.

وتأمل فعل النصارى في قولهم: إن الله ثالث ثلاثة. وبعدها دعاهم سبحانه إلى التوبة فقال: ﴿**أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ**﴾؛ بل دعا المسرفين في الخطأ إلى المراجعة، ونهاهم عن القنوط، وأخبرهم أن الله يغفر الذنوب جميعاً، وهو يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾.

وهو ينادي في الثلث الأخير من الليل: «**هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من تائب فأتوب عليه**» ويقول: «**يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني إلا غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو أتيني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**» وغفر للمرأة البغي من بني إسرائيل لما سقت كلباً يهلث من شدة العطش وغفر لمن تاب بعدما قتل مئة نفس بغير حق وتجاوز عن رجل مسرف لأنه كان يتجاوز عن الناس في الدنيا في البيع والشراء وشكر لرجل وغفر؛ لأنه أزاح غصن شجرة عن طريق الناس وعفا عن رجل أتى بتسعة وتسعين سجلاً مملوءة بالخطايا لأنه عادلها ببطاقة مكتوب فيها: لا إله إلا الله وهو سبحانه

أشد فرحاً بتوبة عبده من فرح صاحب الناقة التي ضلت منه عليها طعامه وشرابه وقد أيس منها ثم وجدها وهو القائل سبحانه: (**يا عبادي إنكم تذنبون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم**) ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾.

وأخبر سبحانه: أن رحمته وسعت كل شيء، وأنه واسع المغفرة، وأنه لا يتعاظمه شيء أن يغفره، وبين سبحانه أنه لا ييأس من روحه إلا القوم الكافرون، ولا يقنط من رحمته إلا القوم الخاسرون.

وذكرﷺ أن رجلاً أذنب ذنباً فقال: «**اللهم إني أذنبت ذنباً فاغفره لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ثم أذنب فقال مثل ذلك، ثم أذنب فقال مثل ذلك، فقال سبحانه: علم عبدي أن له رباً يأخذ بالذنب ويعفو عن الذنب، إني قد غفرت لعبدي فليفعل ما شاء**». والمعنى ما دام أنه يستغفر كلما أذنب فإنه يغفر له.

وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أن الله أرحم بعبده من الوالدة بولدها. وأنه سبحانه خلق الرحمة مئة جزء، أنزل جزءاً واحداً في الدنيا وأبقى عنده تسعة وتسعين جزءاً ادخرها لعباده في الآخرة وصح أن رحمته سبحانه سبقت غضبه، ولما أمر الرجل من بني إسرائيل أبناءه بإحراقه بعد موته وذكر أنه يخاف لقاء الله ويخشى ذنوبه غفر له، ووعد من فعل فاحشة أو ظلم نفسه ثم استغفره: بالمغفرة وجنات تجري من تحتها الأنهار وتبديل سيئات التائبين حسنات، وورد أن الندم على فعل الخطيئة توبة، وأن الإسلام يهدم ما قبله، بل أخبر أن من ظلم نفسه وأساء ثم استغفر الله غفر له.

وقال بعضهم: لو لم تكن التوبة أحب شيء إليه ما ابتلي بالذنب أحب الخلق عليه، يعني: آدم. وذكر سبحانه عن آدم بعد الخطيئة أن الله اجتباه وتاب عليه وهداه، وغفر لموسى خطيئته، ويونس بن متى مغاضبته.

فمن أعظم المنازل عنده سبحانه منزلة التائبين، وقد امتن الله بها على النبي والمهاجرين والأنصار، ومن رحمته بعباده أنه أرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب، وأقام لهم الحجة، وبين لهم المحجة، وأعذر لهم بالبلاغ، وأمهل عاصيهم حتى يتوب، وحلم عن ضالهم حتى ينيب، وانظر إلى قوم سبوه وشتموه وألحدوا في أسمائه وحاروا في صفاته، وعطلوا شريعته، وتعدوا حدوده وعصوا أمره، وارتكبوا نهيه، ومع ذلك خاطبهم بأرق خطاب، ووعد بالتوبة لمن تاب، وبشر بالمغفرة لمن أناب، بل يطعم من عصاه، ويجيب المضطر حتى ممن حاربه إذا ناداه: يا الله يا الله.

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي
جعلت الرجا ربي لعفوك سلما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته
بعفوك ربي صار عفوك أعظما

فسبحان من عظم حلمه وجل كرمه، وما أوسع رحمته، وأحسن مغفرته وأكبر ستره ولطفه، فحقيق بالعبد أن يلتمس رضاه، ويسعى في فكاك رقبته من عذاب ربه بطاعته، وأن يبادر إلى التوبة النصوح كلما زل، وأن يكثر من الاستغفار والندم على ما فرط منه، وإبدال السيئة بالحسنة، وتجديد العودة إلى الله بصدق اللجأ، وإخلاص الإنابة، وتجريد التوكل، والطمع في فضله سبحانه، وحسن الظن به، ورجاء ما عنده، والله أعلم.

obeikandl.com

نعم الله تغمرنا وفضله ينهمر علينا
وجودُه يصل إلينا

كثرة نعم الله عز وجل، وسعة فضله، وعظيم امتنانه على عباده، وتتابع أياديه على الخليقة، وكبير جوده على الناس، وعموم فضله على الكائنات.

إن على كل عبد أن يلمح نعم الله عز وجل، وهي تغمره من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وشماله، نِعم تفوق العد، ولا يأتي عليها الحصر، ولا يقيدها الحساب، نعم تتدافع وتتواصل، وتنهمر صباح مساء، وفي كل وقت وآن، نعم يهبها المنعم الجزيل دون حاجة لهذا المخلوق، ودون خوف منه، أو رجاء فيه، بل تفضل وكرم وبر وإحسان وجود وامتنان، ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ ونعم الله عز وجل يجدها العبد في كل شيء يراه ويلمسه، ويسمعه، ويحسه ويذوقه ويشمه، في لسانه وبيانه وجنانه وأركانه، في عينيه وأذنيه، ويديه ورجليه، في بصره وسمعه ونطقه وفكره وفؤاده، ومعرفته ومواهبه، في قوته ومقدرته، وذكائه ونبوغه وإدراكه، في غذائه وكسائه، وشرابه ومركوبه، وسكنه وفراشه، في أهله وولده وزوجته وأقاربه وأصحابه، في يقظته ونومه، ووقوفه وقعوده، ومشيه وذهابه وغيابه، وعمله وصناعته ومهنته ومزاولته لكل شيء.

نعم الله في الماء والهواء، والغذاء والضياء، في المال والجمال والعيال، والحشم والخدم، والأحفاد والذرية، عين بصيرة، وأذن سميعة، وعقل مفكر، وقلب واع، ويد باطشة، ورِجْل ماشية، ولسان ناطق، وصورة حسنة، وتركيب جميل، وتناسق في البنية، صوَّركم فأحسن صوركم، رأس قائم، ويد ممتدة، وساعد قوي، وجفن يرمش، وعين تتحرك، وأنف قائم، وأسنان مرصوصة،

وشفتان لينتان، وأصابع بديعة الصنع، ماء في العينين مالح لغسلها من الأوساخ، ولعاب في الفم سائغ لتسهيل المضغ، وسائل مخاطي في الأنف لحبس الأدران، وصمغ لين في الأذن لحجب الداخل إليها. سبحان الخالق ملأ بطنك بالطعام ، ورئتك بالهواء، ورأسك بالمعرفة.

خلقك ورزقك، أحياك وأماتك، حباك وأعطاك، أمرضك وشفاك، أجاعك وأشبعك، أظمأك وسقاك، أضحكك وأبكاك، علمك ما لم تكن تعلم، وعرفك ما كنت تجهل، أقامك وأقعدك، أنامك وأيقظك، حسَّن خلقك، هيأ رزقك، سهل طريقك، أجاب دعاك ، لبى نداك، وأجاب مسألتك، قهر عدوك، أرسل لك رسولاً وعلمك كتاباً وهداك منهجاً، وبعد هذا تقول أين الله !!؟ بل أين أنت منه يا مسكين؟! أوجدك من العدم ثم شككت في وجوده!

وأعطاك بلا حق لك عنده ثم أنكرت حقوقه!

وحباك بلا معروف لك لديه ثم جحدت معروفه!

من مشاش رأسك إلى أخمص قدميك، قد غمرك إحسانه وجميله وعطاؤه ومعروفه وتفضله فهل شكرت؟ هل آمنت؟ وهل أطعت؟وهل عبدت؟

﴿ قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾.

وقد بيّن سبحانه وتعالى أن مابنا من نعمة فمنه وحده، قال جل في علاه: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾ وذكر أنه هو الخالق الرازق المحيي المميت.

فنعم الله تترى على العبد منذ كان نطفة في بطن أمه، ثم صور سمعه وبصره ونفخ فيه الروح، ثم غذاه وسقاه وكساه وآواه وكفاه، ومن كل ما سأل أعطاه. والله يقول للعبد: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾

وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾. ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ فانظر نعمه سبحانه وتعالى كيف صورك فأحسن صورتك، ومنحك العقل، ورزقك الفهم، وحذرك من الردى، وأرسل لك الرسول، وأنزل عليك الكتاب، وجعل في قلبك واعظاً، فإن سألت أعطاك، وإن دعوت أجابك، وإن استغفرت غفر لك، وإن استعنت به أعانك، فكل نعمة في قديم أو حديث جلت أو دقت، كبرت أو صغرت، ظهرت أو خفيت فهي من الله وحده ليس إلا. فإن العبد قد يستغني عن كل الناس قريبهم وبعيدهم، كبيرهم وصغيرهم، غنيهم وفقيرهم، ملكهم ومملوكهم، لكنه لا يستغني عن ربه وخالقه طرفة عين.

والناس إذا فعلوا بالعبد خيراً فإنما يفعلونه لمقابل، إما لثناء أو دعاء أو جلب منفعة أو دفع مضرة، لكنهم لا يفعلون بالعبد خيراً مهما قل بلا مقابل، فإن العبد شحيح مقتر محاسب شديد لحب الخير.

أما الله فإنه يعطي عباده عطاءً لا يخشى معه الفقر، لا يرجو نفع الناس ولا يخاف ضرهم؛ بل يعطي فضلاً منه وكرماً وجوداً ولطفاً، يعطي البر والفاجر، والمؤمن والكافر، والمحب والمبغض، ففناه مطلق، وجوده محقق، وقوله مصدق، وفضله عظيم، وخيره عميم، وعطاؤه جسيم، وهو العلي الحكيم.

والعجيب أن شكره على نعمه تعالى نعمة أخرى تستوجب شكراً، لأنه هو الموفق للشكر وحده، ثم إنه وعد بزيادة الشاكرين فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾.

حتى قال بعض العلماء: إن الأحياء ما أدوا شكر نعمة الماء، فكيف بالنعم التي هي ملء الأرض والسماء، فلو رزق العبد عمر نوح وكان له بكل شعرة لسان لما استطاع أن يحصي نعم الرحمن، ولذلك لما ذكر الله نعمه قرر الخليقة بها فقال: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. لذلك قال بعض الحكماء لبعض الفقراء

الذي شكوا البأساء: هل تريد في بصرك ألف ألف دينار؟ قال: لا. قال: هل تريد في سمعك ألف ألف دينار؟ قال: لا. فأخذ يعدد عليه أعضاءه ومواهب الله عليه، فلما انتهي قال له: فهل شكرت ربك على ذلك؟ فقال: لا. فقال: يا هذا عندك ديون محفوظة، وحقوق مثبتة، وأنت ما أديتها وتطلب الزيادة؟!

وفي الحديث: «**يد الله ملآى سحاء الليل والنهار. أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض؟ فإنه لم يغض ما في يديه**» ويقول سبحانه: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾ ولذلك لا يعرف النعمة إلا من فقدها، فنعمة العافية منسية عند الصحيح، مذكورة عند المريض، ونعمة البصر مغفلة لدى المبصر؛ جليلة عند الأعمى، وهل هو سهل أن تعيش معافى مشافى مرزوقاً مكفيّاً، تشرب الماء وتستنشق الهواء تسير على قدميك، وتنظر بعينك وتسمع بأذنيك.

وقد ذكر أن أحد قادة الجيوش غرقت سفينته في البحر فبقي تحت الماء ثلاثة عشر يوماً، فلما خرج سألوه عن تجربته في هذه الأيام، فقال: لقد أدركت أن الحياة خبز دافئ، وماء بارد، وكسوة للجسم، وقد قال بعض العارفين.

خبز وماء وظل
ذاك النعيم الأجل

كفرت نعمة ربي
إن قلت إني مقل

فلله الحمد أولاً وآخراً، باطناً وظاهراً، سراً وجهراً، ملء السموات والأرض وملء ما شاء ربنا من شيء بعد.

اللطيف الخبير يسهل علينا شرعه وييسر علينا دينه ويفيض علينا لطفه أينما اتجهنا وحيثما حللنا وأينما ارتحلنا

يسَّر الله عز وجل شريعته على عباده وجعلها سمحة، ونفى الحرج عنها، ووضع الآصار والأغلال عن الأمة رحمة بهم، وأنه لا يكلف نفساً إلا وسعها، ولا يحملها ما لا طاقة لها به، فضلاً منه وكرماً.

يُسر الشريعة من سماتها وواضح علاماتها، وأدل آياتها، فهي سهلة ميسرة لأنها من رؤوف رحيم، جاءت لسعادة الإنسان وأمنه وسكينته وطمأنينته، فلذلك كانت يسيرة جاءت لإنقاذه من الردى، ونجاته من الهلاك، وإبعاده من الدمار، وإخراجه من الظلام، وعتقه من رق الطاغوت؛ فلذلك كانت يسيرة.

جاءت لتنظيم حياته، وطهارة نفسه، وزكاة قلبه، ونقاء ضميره، وشرف أخلاقه، وسمو مقصده، وكرم طباعه، فلذلك كانت يسيرة، جاءت لحفظ روحه، وحماية دمه، وتهذيب سيرته، وبيان منهجه، وتوضيح سبيله، فلذلك كانت يسيرة، شريعة يسيرة في فهمها، فلا ألغاز ولا رموز ولا أحاجي ولا أغلوطات، ولا صعوبات ولا عسر، بل سماحة وسهولة، ويُسر ورحمة، ورأفة ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾.

شريعة لم تكلف العبد فوق طاقته، ولم تحمله فوق استطاعته، ولم تشق عليه، فلا عنت ولا التواء، ولا إجحاف ولا حرج، لأنها أتت قصداً لإدخال

الرَّوْح والسعادة على العبد، والأمن والأمان والسكينة والاطمئنان، لأن من صفاتها أنها تشرح الصدر، وتضع الوزر، وترفع الذكر، وتزيل الكدر، وتذهب الهم، وتزيح الغم، وتنفي الحزن، وتجلب السرور، وتستدعي الحبور، وتدخل النور، وتسهل الأمور.

شريعة أنزلها الله لإنقاذ البشرية من ورطة الأخطاء، ولعتق الإنسانية من عبودية الوثن، ولإصلاح العالم لتشرق شمس سعادته، ويطلع فجر فلاحه.

شريعة أنزلها لوضع الآصار والأغلال عن رقاب الخليقة، ولخلع القيود الثقيلة عن أعناق البرية، ولسلخ أودية الضلال عن عقول الأحرار، ولبعث الأرواح المدفونة تحت أنقاض الكفر، ولإزهاق الباطل العاصف بالأرواح العابث بالقيم، المدمر للإرادة، الفتاك بالأخلاق، ثم لقهر الشيطان وأعوانه وأحزابه، وأتباعه أهل الغواية، ورواد الخطيئة وصانعي الإجرام، وحملة الأفكار الشنيعة والخواطر الآثمة.

وقد دل الكتاب والسنة على هذا المفهوم. قال سبحانه معلماً عباده سؤال ذلك فقال: ﴿ **رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾.

وقال: ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾.

وقال: ﴿ **وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ** ﴾.

وقال: ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾.

وقال: ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا** ﴾.

وقال: ﴿ طه ۝١ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴾.

وقال: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾.

وقال: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

وقال: ﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ﴾.

وقال: ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾.

وقال: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾.

وفي الحديث: أن رجلاً أصابته شجة وقد أجنب، فسأل هل له من رخصة في ترك الغسل؟ فأفتاه بعضهم بعدم الجواز، فاغتسل فمات، فَأُخْبِر الرسول ﷺ فقال: «**قتلوه قتلهم الله. ألا سألوا فإنما شفاء العي السؤال**» ثم بين الحكم، وهذا من تسهيل الله لعباده على لسان رسوله ﷺ لأحكام الدين.

ومثله إقراره ﷺ لعمرو بن العاص لما صلى بأصحابه في سفر وهو جنب بالتيمم وتأول قوله تعالى: ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾. فضحك ﷺ وأقره وقال: «**يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا**».

وقال: «**قاربوا وسددوا واعلموا أنه لا ينجو أحد منكم بعمله**»، قالوا: حتى أنت يا رسول الله؟ قال: «**حتى أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته**».

وقال: «**بعثت بالحنيفية السمحة**».

وقال: «**إن الدين يسر**».

وقال: « **عليكم هدياً قاصداً، فإنه من يغالب هذا الدين يغلبه**».

وصح أنه ﷺ ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً.

ولما طول معاذ ـ رضي الله عنه ـ الصلاة بقومه قال: «**أفتان أنت يا معاذ. ثلاثاً. من أَمَّ منكم بالناس فليخفف فإن فيهم الكبير والضعيف والمريض وذا الحاجة**».

وأنكر على الثلاثة الذين شددوا على أنفسهم بترك الزواج، وقيام الليل كله، وسرد الصيام، فقال: «**أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**».

ولما أنكر عمر ـ رضي الله عنه ـ على الحبشة لعبهم بالحراب في مسجده ﷺ قال: «**دعهم يا عمر**»، وقال: «**ليعلموا أن في ديننا فسحة**»، وقال: «**لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يُصب دماً حراماً**». وقال: «**إني أدخل في الصلاة فأريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي**».

وأفطر ﷺ في رمضان في سفره.

وقصر الصلاة الرباعية، وجمع بين صلاتي الظهر والعصر والمغرب والعشاء في السفر.

وقال: «**هلك المتنطعون والمتفيقهون والمتشدقون**».

ونهى عن لعن شارب الخمر بعدما أقام عليه الحد، ولم يعنف على من جامع أهله في رمضان؛ بل أفتاه فحسب.

وقال: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**» «**إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف. وما لا يعطي على ما سواه**».

وذكر أن خطبة الرجل يوم الجمعة وقصرها مئنة من فقهه. وأنكر على عبدالله بن عمرو بن العاص إرهاق نفسه بالعبادة وتقريره لسلمان الفارسي«**صدق سلمان**» وقوله لأبي ذر: «**إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه**» ونهى عن الوصال، وعن قيام الليل كله، وختم القرآن كل يوم وزجر من قيام في الشمس، ونهى عن الصمت إلى الليل.

وسن التيمم عند فقد الماء، أو العذر من استعماله، ورخص في المسح على الخفين رحمة بالأمة، وقد ثبت أن الرسولﷺ بال واقفاً في سباطة قوم وشرب من زمزم قائماً للحاجة وهذا من اليسر.

وكان يقول: «**وإياكم والغلو**».

وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: نهينا عن التكلف.

ومن التيسير الذي أنزله في هذه الشريعة تسهيل أمر التوبة على من أذنب.

ومن يُسر الله على الأمة أن جعل كفارة ذنوبها بالتوبة وليس بقتل النفس كما في بني إسرائيل، وستره سبحانه على مذنبي هذه الأمة بخلاف بني إسرائيل، فكان من أذنب منهم وجد ذنبه مكتوباً على جبهته أو بابه.

وفي الحديث: «**أمتي أمة مرحومة**». وخفف الله عليها الصلاة من خمسين إلى خمس، وأبقى أجر الخمسين، وأحلت لهم الغنائم، وجعلت لها الأرض مسجداً وطهوراً، وكانﷺ يكره التشديد على الناس، وكان يتخولهم بالموعظة كراهة السآمة عليهم. وقال: «**إذا قام أحدكم يصلي فنعس فليرقد، لعله يستغفر فيسب نفسه**». وقال: «**اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به**» ولم ينتهر من

بال في المسجد، بل تركه حتى أنهاه، ثم نهاه بلطف وبيّن له برفق وقرصﷺ المني اليابس الذي أصاب ثوبه فحسب ولم يغسله، وكان يصلي في ثوبه الذي ينام فيه.

وقرأ القرآن وهو متكئ في حجر عائشة رضي الله عنها، وكان يواكل الحائض، وترجله عائشة وهي حائض. وكانﷺ يقول: «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»، وكانﷺ يصلي النافلة أحياناً وهو قاعد، ويتنفل على راحلته، ويقول: «**رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**»، ويقول: «**رفع القلم عن ثلاث: النائم حتى يستيقظ، والصغير حتى يكبر، والمجنون حتى يفيق**». ويقولﷺ: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**»، وترك صلاة التراويح خشية أن تكتب على الأمة.

وكان ربما ترك بعض العمل خشية أن يكتب على أمته شفقة بهم.

وقالﷺ: «**ذروني ما تركتكم، فإنما أهلك الذين من قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم**».

وقوله للرجل لما قال: «والله لا أزيد على هذا ولا أنقص: «**أفلح إن صدق ودخل الجنة إن صدق**»، وحمل أمامة بنت بنته في الصلاة فكان إذا سجد وضعها وإذا قام رفعها. وصلى في نعليه وكان إذا رأى بهما أذى مسحهما بالتراب وصلى فيهما.

وقالﷺ: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته**».

وكل هذه الأحاديث والآثار وغيرها من النصوص تدخل في رحمة الله بعباده، وتيسيره عليهم ورفع الحرج عنهم، فسبحانه من رب رؤوف رحيم، رفيق

يجب الرفق، فالواجب علينا شكره سبحانه على هذه النعم العظيمة والآلاء الجسيمة من التسهيل والتيسير، وأن نقوم بما أمرنا به، وننتهي عما نهينا عنه. والله المستعان.

obeikandl.com

صلة الحب بين الله وعبده تصبح قصة من أجمل القصص في الرعاية والولاية والحفظ والنصر والتأييد من الله والإخلاص والصدق والتضحية والوفاء من عبده

الله يحب أولياءه. وعلى العبد وجوب حبه سبحانه لكمال جلاله وتمام جماله وغاية كماله، وحسن أسمائه وصفاته وأفعاله، وأنه محبوب لإحسانه وبره وامتنانه وأياديه وجميل معروفه عز وجل.

الحب ماء الحياة، وغذاء الروح، وقوت النفس، تعطف الناقة على حوارها بالحب، ويرضع الطفل ثدي أمه بالحب، وتبني الحمَّرة عشها بالحب، بالحب تشرق الوجوه، وتبتسم الشفاه، وتتألق العيون، بالحب يقع العناق والضم والوصال والحنان والعطف، الحب قاضٍ في محكمة الدنيا، يحكم للأحباب ولو جاروا، ويفصل في القضايا لمصلحة المحبين ولو ظلموا، بالحب وحده تقع جماجم المحاربين على الأرض كأنها الدنانير لأنهم أحبوا مبدأهم، وتسيل نفوسهم على شفرات السيوف لأنهم أحبوا رسالتهم، أحب الصحابة المنهج وصاحبه، والرسالة وحاملها، والوحي ومنزله، فتقطعوا على رؤوس الرماح طلباً للرضا في بدر وأحد وحنين، وهجروا الطعام والشراب والشهوات في هواجر مكة والمدينة، وتجافوا عن المضاجع في ثلث الليل الغابر، وأنفقوا النفائس طلباً لمرضاة الحبيب، بالحب صاح حرام بن ملحان مقتولاً: فزت ورب الكعبة. بالحب نادى عمير بن الحمام إلى الجنة مستعجلاً: إنها لحياة طويلة إذا بقيت حتى آكل هذه التمرات، بالحب صرخ عبدالله بن عمرو الأنصاري: اللهم خذ من دمي هذا اليوم حتى ترضى؟.